الآجري

الوسطية ونبذ الغلو

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

مكتبة دار النصيحة

دار المدينة النبوية

الوسطية ونبذ الغلو

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة لدار النصيحة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٤٣٠٥ /٢٠٠٧م

الترقيم الدولي: ٥ - ٠٥ - ٦٢٠٢ - ٩٧٧

مكتبة دار النصيحة

المملكة العربية السعودية ـ المدينة النبوية ـ حي الفيصلية ـ أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

جوال: ٠٥٤/٣٤٧٣٢٣ - ت وفاكس: ٨٤٧٠٧٠٨

البريد الإلكتروني: Daralnasihaa@yahoo.com

الوسطية ونبذ الغلو

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور
علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

مكتبة دار النصيحة
السعودية - ٠٠٩٦٦٠٥٠٤٣٤٧٣٢٣

دار المدينة النبوية
مصر - ٠٠٢/٠١٠١٨٠٦٣١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن من نعم اللَّه وفضله أن جعل هذه الأمة المحمدية أفضل الأمم وأعدلها فشهد لها بالوسطية، ومعناها: العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ أي: خيارًا عدولًا، ولذلك قبل شهادتها على الأمم السابقة عليها لإيمانها وتصديقها بكل ما أخبر اللَّه به في كتابه أو أخبر به رسوله ﷺ في سنته، فقال: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (ح٤٤٨٧) مُفسِّرًا الوسَطَ بالعَدْلِ: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟**

فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. والوسط: العدل.

قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية: «ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]، قوله: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم، واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول، وأكمل شرع. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا» ثم ضرب الأمثلة لذلك.

وهي خير الأمم التي أخرجت للناس قاطبة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ألا وإن هذه الأمة تُوَفِّي سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل**».

وكذلك رواية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ، قال: «**أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها على الله**»[(١)].

---

(١) ابن جرير (٣/ ٤٥).

سبب خيرية هذه الأمة بعد الإيمان بالله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد أثنى الله عليها وجعلها خير أمة أخرجت للناس فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فبين تعالى أن سبب خيريتها هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، كما اصطفى لها أفضل رسله وأكرم أنبيائه الذي يعز عليه ما يشق على أمته، وهو من خيارها وأوسطها نسبًا ومكانة فبعثه فيها نبيًا ورسولًا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، كما أرسله للناس كافة وجعله خاتم الأنبياء والرسل. ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وأنزل عليه أشرف كتبه وجعله مهيمنًا على الكتب قبله شاملًا لخير ما فيها مصدقًا لما اجتمعت عليه من الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده والدعوة إلى الخير والبر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، إذ لم يفرط الله فيه من شيء تحتاج إليه البشرية في دينها ودنياها، مبينًا ذلك بالسنة التي هي وحي من الله فيها البيان والتفصيل لما اشتمل عليه كتاب الله كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤٠].

فبإرسال هذا النبي الكريم الخاتم للأنبياء والرسل جميعًا، وإنزال هذا الكتاب الشامل الكامل الناسخ للكتب السابقة كلها، وإبلاغ هذه الرسالة الرحيمة للعالمين جميعًا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، شرفت هذه الأمة، وبمتابعتها لكتاب الله والتمسك به والاهتداء بهديه والأخذ بسنة رسوله ﷺ كانت خير الأمم

وأوسطها وأعدلها؛ لقوله ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي**» وكان أسعد هذه الأمة بهذه الخيرية وأحرصهم عليها قولًا وعملًا واعتقادًا أصحاب رسول الله ﷺ، ثم تابعوهم ثم التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» [خ فضائل الصحابة/ ح ٣٦٥٠].

ويلحق بأهل القرون الثلاثة المتبعون لهم بإحسان المتمسكون بهدي الكتاب والسنة الذين وصفهم في قوله ﷺ في افتراق هذه الأمة إلى فرق كما افترقت الأمم السابقة، قال ﷺ: «. . **وتفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**»[1]، وهذه الواحدة هي التي وصفها رسول الله ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى**» وهم المؤمنون الذين أمر الله باتباع سبيلهم ونهى عن مخالفته، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فهؤلاء المؤمنون جميعًا الصائرون على هدي الكتاب والسنة على فهم الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان هم خيار هذه الأمة وأوسطها وأعدلها، وهو الأمر الذي مضى عليه أولئك الأخيار عقيدة، وعبادة، ومعاملة وأخلاقًا ودعوة إلى هذا الدين الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة لمن عنده علم بالتي هي أحسن، وهو المنهج الذي أمر الله ﷻ به رسوله ﷺ وأتباعه من بعده؛ قال تعالى لنبيه محمد ﷺ نبي الرحمة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) الترمذي/ كتاب الإيمان/ باب ما جاء في افتراق هذه الامة (٥/ ٢٦ح٢٦٤١) وحسنه الألباني رحمه الله، صحيح الترمذي (ح٢١٢٩).

(ظهور الفرق وما نشأ عنه من التفرق)

وهكذا كان الصحابة وأتباعهم بإحسان على هذا المنهج السوي والصراط المستقيم، وفي آخر عهد الخلافة الراشدة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بدأ ظهور التفرق والاختلاف، فظهرت الخوارج على علي رضي الله عنه مُدَّعية أنها المتمسكة بكتاب الله-إذ كان أول إعلانها لآرائها بسبب قضية التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما- إذ قالت: لا حكم إلا لله، كما ظهرت-الشيعة الرافضة أتباع عبد اللَّه ابن سبأ اليهودي الماكر؛ فغلت في علي رضي الله عنه.

وهكذا تتابعت الفرق كما أخبر المصطفى ﷺ وابتدعت كل فرقة في الدين ما لم يأذن به الله، وانحرفت عن سواء الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقد أورد ابن كثير في تفسير الآية ما رواه الإمام أحمد عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ رسول اللَّه ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل اللَّه مستقيمًا**» وخطّ عن يمينه وشماله، ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وقال مجاهد: البدع والشهوات.

فاللَّه وحده عز وجل وحَّد سبيله لأن الحق واحد، وأما سبل الشر والبدع والأهواء فكثيرة، وقد تحقق ما أخبر به ﷺ من افتراق هذه الأمة إلى فرق متعددة في الأهواء. فانحرفت عن الصراط المستقيم، ومالت كل فرقة مع أهوائها إما إلى إفراط، أو إلى تفريط، وابتعدت عن الوسطية التي وصف اللَّه بها هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلًا خيارًا في الأمم السابقة.

فأصبح أهل السنة وهم الفرقة الناجية التي وصفها رسول اللَّه ﷺ- بأنها من كانت على ما كان عليه هو وأصحابه فهي الوسط- بين الفرق-التي منها الغالي

والجافي- فالرافضة غلوا في علي بن أبي طالب ﷺ حتى جعله بعضهم إلهًا . والخوارج كفَّروه وكفَّروا كثيرا من الصحابة .

فصار أمر الفرق يدور بين الغلو والإفراط- وأهل السنة أصحاب المنهج الوسط على هدي قاصدٍ وطريق مستقيم. وسط : في عقائدهم، وفي عباداتهم، وفي سلوكهم وأخلاقهم، فلا إفراط ولا تفريط .

ومن أجل الوصول إلى بيان مجمل مسائل الاعتقاد وبيان وسطية السلف فيها نقدم نبذة مختصرة عن ذلك ويشمل الأمور التالية :

أ- تعريف السلف .

ب- مجمل اعتقاد السلف ويشمل أركان الإيمان الستة :

١-توحيد الربوبية .

٢- توحيد الألوهية

٣- توحيد الأسماء والصفات ، وبيان وسطية أهل السنة فيه بين النفاة أهل التعطيل والمشبهة أهل التمثيل، والمفوضة أهل التجهيل .

- وبيان وسطيتهم في باب الأفعال بين الجبرية، والقدرية المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق فعله .

- وبيان وسطيتهم في باب أسماء الإيمان والدين وفي أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة، وبين الخوارج المكفرة لمرتكب الكبيرة- والمعتزلة أهل المنزلة بين المنزلتين في الدنيا .

- وسطية أهل السنة في الصحابة بين الرافضة والخوارج والمعتزلة .

أ- تعريف السلف:

لغةً: جمع سالف- على وزن حارس وحرس، والسالف المتقدم، والسلف الجماعة: . . . . المتقدمون[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦].

قال ابن الأثير: «. . . سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمِّي الصَّدر الأول من التَّابعين السلف الصالح».

وأما السلف في الاصطلاح:

فقد اختلف في مفهومه زمنيًّا.

فمنهم من يقول: أنهم الصحابة فقط.

ومنهم من يقول: أنهم الصحابة والتابعون، وقد ذهب إلى هذا أبو حامد الغزالي، فقال: «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين»[٢].

ومنهم من يقول: «الصحابة والتابعون وتابعو التابعين: يعني القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية بقوله في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم**، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. . .» وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[٣]

ويشير إلى هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل:

---

(١) لسان العرب (٩/ ١٥٨).

(٢) النهاية (٢/ ٣٩٠)، إلجام العوام عن علم الكلام (ص ٥٣).

(٣) خ/ كتاب فضائل الصحابة (٧/ ٣، ح ٣٦٥٠/ ٣٦٥١) فتح الباري.

فقال: «.. سلف الأمة وخيار قرونها»[١]

ويُدخِل ابن تيمية أيضًا من تابعي التابعين: الإمام أحمد (١٦٤-٢٤١) في مفهوم تسمية السلف فيقول: «وكذلك قال ابن الماجشون، وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف»[٢] وكذلك الإمام الشَّوكاني في كتابه «التحف في مذاهب السلف»[٣]

وقد جاء في الشريعة للآجري (ت٣٦٠هـ) قوله: «علامة من أراد اللّٰه ﷻ به خيرًا: سلوك هذه الطريق: كتاب اللّٰه ﷻ، وسنن رسول اللّٰه ﷺ، وسنن أصحابه ﵃، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام ومن كان على مثل طريقتهم ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه العلماء»[٤].

ولما كان التحديد الزمني لا يكفي لأن هذه القرون المفضلة كما هو معلوم لكل باحث أنه قد نشأ فيها إلى جانب الخير الكثير الغالب على الشر والبدع والأهواء إلا انه نشأ في تلك القرون الكثير من أهل البدع والأهواء، كالخوارج-في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب فقد اعترضوا على قضية التحكيم بأهوائهم وجهلهم مع أنهم في الأصل هم الذين صمموا على قبول التحكيم وذلك سنة (٣٧٠هـ)، وفيها ظهر التَّشَيُّع والرفض- ومؤسس ذلك عبد اللّٰه بن سبأ اليهودي الماكر الذي أسلم نفاقًا وتمسح بحب أهل البيت.

كما ظهرت بدعة القدر على يد معبد الجهني.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٣٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل(١/ ١٠٧).

(٣) التحف في مذاهب السلف (ص ٧ ، ٨ ، ١١)، الشريعة (ص٢٤)، الطبعة الأولى ١٩٩٢م - ١٤١٣هـ دار السلام.

(٤) الشريعة للآجري (ص١٤).

وبدعة الإرجاء على يد غيلان الدمشقي.

والتجهم والاعتزال؛ فقد عاش في هذا الوقت الجعد بن درهم (ت١٢٤هـ)، وهو أستاذ الجهم بن صفوان الذي أسس شرًّا عظيمًا كما قال الإمام الذهبي وقد توفي (١٢٨هـ).

وواصل بن عطاء مؤسس مذهب الاعتزال (ت: ١٣١).

وبهذا العرض الموجز يتضح لنا أن هذه القرون الثلاثة عاش فيها أصحاب أهواء وبدع أدخلوا على الإسلام والمسلمين أمورًا فتحوا بها أبواب شرور عظيمة ما زالت الأمة الإسلامية تعاني من آثاره الفتن الكثيرة إذ ما زالت تلك الأفكار موجودة.

وهذا يبين لنا أن التحديد الزَّمني لمفهوم السلف لا يكفي، ولهذا نجد بعض العلماء يضيف إلى التحديد الزمني قيدًا لا بد منه فيحدد ذلك ابن رجب (ت٧٩٥ هـ) فيقول:

السلف (المقتدى بهم) إلى عصر الإمام أحمد وأقرانه فيقول: «. . . وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي (ت٢٠٤هـ) وأحمد(ت٢٤١)، وإسحاق (ت٢٣٨هـ)، وأبي عبيد (ت٢٢٤هـ) وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة. . .»[(١)].

وكذلك الإمام السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه لمذهب السلف، قال: «المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان اللّٰه عليهم-، والتابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالأمانة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، دون من رُمي ببدعة، وأشهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء. .»[(٢)].

---

(١) فضل علم السلف على الخلف (ص٦٠).
(٢) لوامع الأنوار (١/ ٢٠).

فالخوارج والروافض. . . إلخ ومن ذكرهم من أهل الأهواء والبدع لا يعدون من السلف المقتدى بهم وإن عاشوا في القرون الثلاثة المفضلة، وإنما المقتدى بهم من السلف هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة الدين، المعروفون بالتمسك بالكتاب والسنة واجتناب البدعة والحذر والتحذير منها. وهم الذين رضي الله عنهم وحث على اتباعهم بإحسان وبين ما أعده الله لهم من الثواب العظيم فقال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالصحابة -رضوان الله عليهم- رضي الله عنهم ووعدهم بالجنة دون شرط، وأما التابعون لهم فقد كان وعده ﷻ لهم بشرط المتابعة للسابقين من المهاجرين والأنصار بإحسان، وهؤلاء هم الذين أمر الله ﷻ باتباع سبيلهم، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وهم الطائفة الناجية المنصورة التي وصفها النبي ﷺ بقوله في حديث افتراق الأمة حينما سئل عنها قال: **من كان على ما أنا عليه وأصحابي**»[١].

ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان مُستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم، وطرائقهم، فهم كانوا على الهدي المستقيم»[٢].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع».

(١) تقدم تخريجه.

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤) الطبعة الثانية ١٤٠٣- المكتب الإسلامي ببيروت.

وقال في مقدمة رسالة (السنة) له :

«هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من علماء الحجاز والشام وغيرها عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة زايل عن منهج السنة وسبيل الحق . . . » ثم ذكر قولهم في مسائل الاعتقاد[1].

ب - مجمل اعتقاد السلف، وهم أهل السنة والجماعة:

هو الإيمان: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره. وهذه الجمل: هي أركان الإيمان الستة، وشرحها بالتفصيل قام به علماء سلف هذه الأمة في مجلدات. وحسبنا أن نشير إلى ذلك باختصار.

فالركن الأول: وهو : الإيمان بالله ﷻ:

لأن جميع رسالات الرسل من أولهم نوح -عليه الصلاة والسلام- إلى خاتمهم محمد ﷺ كلها تدعو إلى توحيد الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فكل الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده، لأنه هو المعبود بحق، وما اتخذه العباد من معبودات دونه أو معه كلها باطلة، لأنها عبدت بغير حق، فدعوة الرسل ركزت على دعوة البشر إلى توحيد العبادة لله وحده، لأن توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله هو الخالق أمر مغروز في الفطرة، والمنكرون له قليلون، وهم ينكرون مكابرة، لأنهم في قرارة أنفسهم لا يستطيعون إنكاره كما قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾.

---

(١) السنة (ص ٣٣- ٣٤).

وقال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ولكن نجد العلماء -رحمهم الله- بالاستقراء قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله سبحانه بالخلق والملك والتدبير. فهو الخالق المحي المميت رب كل شيء ومليكه ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالخلق له وحده، ولو اجتمع الخلق كلهم لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

والملك له وحده ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ٢٧].

والثاني: توحيد الإلوهية:

وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة، قولًا، وفعلًا، واعتقادًا، لأن العبادة تشمل الدعاء، والخوف، والرجاء، والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي يجب صرفها لله وحده. وهو معنى: لا إله إلا الله. أي: لا معبود بحق إلا الله وحده ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، ويسمى توحيد العبادة، وذلك باعتبار إضافته إلى العابد. والعبادة مبنية على المحبة والتعظيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ فبالمحبة تكون الرغبة فيما عند الله.

وبالتعظيم: تكون الرهبة والخوف من عقاب الله.

والعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (العبودية):

«العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

وهذا تعريف للعبادة جامع مانع ، فالصلاة والزكاة والحج والصوم وكل الأعمال الظاهرة التي يؤديها المسلم، وكذلك الأعمال الباطنة كأركان الإيمان الستة، وغيرها من الذبح والنذر والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من الأعمال التي يحبها اللّٰه ويرضاها لا يجوز للعبد أن يصرف منها شيئًا لغير اللّٰه ﷻ، ولا تكون تلك الأعمال مقبولة عند اللّٰه إلا بشرطين:

الأول: النية الخالصة للّٰه ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾.

وقال ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات»**.

الثاني: المتابعة لرسول اللّٰه ﷺ، كما قال: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وهو داخل في الإيمان بالله ربًا خالقًا متصرفًا في كل شيء، فاللّٰه خالق كل شيء ومليكه، وهو المعبود بحق وحده لا إله غيره ولا رب سواه.

ومن الإيمان بالله -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-: «الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ.

وذلك على أساس قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

فليس كمثله شيء- لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، فإثبات صفة السمع والبصر على أساس ليس كمثله شيء وكذلك جميع الصفات الواردة في كتاب اللّٰه ﷻ، والثابتة في سنة رسول اللّٰه ﷺ، يثبتها أهل السنة والجماعة على هذا الأساس، فهي معلومة المعنى مجهولة الكيفية بالنسبة للمخلوق، أي: لا يعلم كيفيتها إلا الله، كما قال الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء على العرش كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بطرد

السائل؛ لأنه مريض بالشُّبَهِ وقد يسري مرضه لغيره، إذ الخلط من الأسباب التي جعلها اللَّه سببًا لانتقال العدوى، والعلماء من أهل السنة ينهون عن مخالطة أهل البدع.

وهكذا جعل أهل السنة قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ معيارًا لتطبيق هذا المنهج في جميع صفات اللَّه عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن صفات اللَّه عَزَّ وَجَلَّ من الأمور الغيبية، والواجب على المسلم نحو الأمور الغيبية، الإيمان على ما جاءت دون أن يرجع إلى شيء إلا إلى النصوص الواردة في ذلك في الكتاب العزيز والسنة الثابتة المطهرة ومذهب العلماء المقتدى بهم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يوصف اللَّه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث».

لأن الإنسان لا علم له بذلك إلا عن طريق الكتاب والسنة، فإذا قال شيئًا من عند نفسه فقد خالف القرآن الكريم وقال على اللَّه بلا علم، فاللَّه يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فمن وصف اللَّه بصفة لم يصف اللَّه بها نفسه فقد قال على اللَّه بلا علم، وهذا محرم بنص الآية الكريمة وغيرها من الآيات في هذا الباب.

فمدار إثبات الأسماء والصفات أو نفيها على السمع، فالعقول لا تحكم على اللَّه أبدًا. والمخالفون لأهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة وأتباعهم بإحسان، من أهل التعطيل، من جهمية، ومعتزلة، وأشعرية وغيرهم ممن سلك هذا المسلك يجعلون مدار إثبات الصفات أو نفيها على العقل، فيقولون: ما اقتضى العقل إثباته أثبتناه، سواء أثبته اللَّه لنفسه أم لا. وما اقتضى نفيه، نفيناه، وإن أثبته اللَّه لنفسه، فالعقل عندهم هو الحاكم فيما يجب أو يمتنع على اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، ولهذا المنهج فإن تلك الطوائف لم تتفق فيما بينها لاختلاف العقول.

(منهج أهل التعطيل)

١- **فالجهمية**: نفت عن اللَّه ﷻ جميع الأسماء والصفات، لأن عقولهم لم تقبل إثبات الأسماء والصفات للَّه ﷻ بحجة أن المخلوقات لها أسماء وصفات، فإذا سموا اللَّه أو وصفوه حتى بصفة الوجود فقد شُبه بالمخلوقات لأنها موجودة، وهذا تشبيه للخالق بالمخلوق، والهدف هو تنزيه الله، ولا يتم تنزيهه حسب زعمهم إلا بذلك، وهذا قمة التعطيل، ولم يُثْبِت الجهم من الصفات للَّه إلا القدرة، لأن العباد عنده مجبورون على أعمالهم.

٢- **والمعتزلة** : عقولهم قبلت إثبات الأسماء للَّه مجردة عن الصفات، ونفت الصفات كلها.

وقالوا : هو عالم بلا علم، سميع بلا سمع، قادر بلا قدرة!!

٣- **والأشعرية**: أثبتوا للَّه سبع صفات، وهي الصفات الذاتية، التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والإرادة والكلام وإثباتهم لها بالعقل ، لا بالسمع؛ لأن العقل لا يحيلها، أي: أنه لا يمكن أن توجد ذات مجردة عن هذه الصفات، وإلا لو أثبتوها بالسمع لأثبتوا الصفات الأخرى، كالرحمة والرضاء والاستواء وغيرها؛ لأنها كلها في القرآن، وهم محجوجون بما أثبتوه، وهذا التعطيل لصفات اللَّه سموه تأويلًا، وهو من التأويل المذموم، لأنه صرف اللفظ عن ظاهره دون دليل؛ لأن التأويل ينقسم إلى قسمين :

محمود، ومذموم، فإن دل عليه دليل فهو محمود؛ وهو التفسير كما يقول ابن جرير : القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا . . . ثم يذكر المعنى .

والقسم الثاني: المذموم: وهو الذي ليس له دليل فهو من باب التحريف، وليس من باب التأويل، وهو الذي سلكه أهل التعطيل في صفات اللَّه تعالى، وهناك

فريق آخر له قول في أسماء اللّه وصفاته، هو شر من قول أهل التعطيل والتأويل كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- وهم أهل التفويض: القائلون بأن أسماء اللّه وصفاته من المتشابه الذي لا يعرف معناه، ثم ينسبون هذا القول لمذهب أهل السنة والجماعة، وهو قول باطل فمذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية، فاللّه يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فكيف يأمر اللّه عباده بدعائه بأسماء لا يعرفون معناها، ونسبة هذا للسلف قول عليهم بلا علم، وهو قدح في كتاب اللّه الذي فيه البيان لكل شيء كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ - بعد أن أورد عددًا من الأحاديث في بيان أسماء اللّه وصفاته- قال: «فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر اللّه به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

* فهم وسط في باب صفات اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.

* ووسط في باب أفعال اللّه بين الجبرية والقدرية وغيرهم.

* وفي باب وعيد اللّه وسط بين المرجئة، وهم المفرطون القائلون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب وان لم ينطق به بلسانه، وهذا منهج مخالف لنصوص الكتاب والسنة.

*وبين الوعيدية: وهم المعتزلة القائلون بأنه يجب على اللّه عقديًا أن يعاقب العاصي، كما يجب عليه أن يثيب المطيع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر اللّه له؛ بل يجب عليه إدخاله النار، وإذا دخلها لا يخرج منها؛ لأنهم أنكروا أحاديث الشفاعة في عصاة الموحدين بحجة أن الأحاديث ظنية الثبوت فدلالتها من باب أولى، والآيات الواردة في الشفاعة صرفوها إلى رفع

الدرجات للمؤمنين، وليست في الشفاعة لعصاة الموحدين.

* وهذا مذهب مصادم للنصوص من الكتاب والسنة، فاللَّه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ فليس لأحد من البشر أن يوجب على اللَّه شيئًا، فمن عذبه اللَّه على ذنبه فبعدله، فإن كان موحدًا فمصيره إلى الجنة، كما أن الثواب للمطيع هو بفضل اللَّه ورحمته[1].

والأحاديث في الصحيحين وغيرها مستفيضة في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة، وأهل هذا الفكر المنحرف عن الصراط المستقيم لا يستدلون بالمتواتر من السنة ولا بالقرآن الذي لا خلاف في قطعية ثبوته؛ لأنهم يقولون في قطعي الثبوت أن دلالته ظنية وتفصيل ذلك في كتبهم، وردود أهل السنة عليهم.

وسنورد في باب أسماء الإيمان والدين، وأحكام أصحابها في الدنيا والآخرة، وبيان أهل السنة تفصيلًا، لأن هذه الأفكار منتشرة لاسيما بين الشباب الذين تحركهم العواطف ولا يرجعون إلى العلماء الموثوق بهم علمًا ودينًا ليبينوا لهم الحق فيما يشاهدونه من أحداث، فيصدرون أحكامهم لا على الأفراد فحسب، بل على المجتمعات الإسلامية.

---

(١) قال ﷺ: «لا يدخل أحدكم عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه برحمة منه. .» الحديث.

(وسطية أهل السنة في الأسماء والأحكام)

المراد بالأسماء هنا: أسماء الدين مثل: مؤمن، ومسلم، وفاسق، وكافر.

والمراد بالأحكام: أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة، أي: أحكام أصحاب هذه الأسماء وكانت مسألة الأسماء والأحكام هي أول مسألة من مسائل الأصول وقع فيها الخلاف والنزاع بين الطوائف المختلفة، بعد الأحداث والحروب التي جرت بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما، وما ترتب عليها من ظهور الخوارج التي كفرت بالذنب فجعلت صاحب الكبيرة[1] كافرًا، والرافضة، والقدرية، والمعتزلة.

فتنازع الناس (في مرتكب الكبيرة) من المسلمين ماذا يسمى؟ أهو مؤمن، أم كافر، أم فاسق؟ وما حكمه في الدنيا بناء على تلك الأسماء؟ وما حكمه في الآخرة؟

* **وقد افترقت الطوائف في ذلك إلى طرفين وواسطة**:

١- فالخوارج والمعتزلة في طرف- وإن كان المعتزلة يخالفون الخوارج في التسمية في الدنيا-[2].

٢- وطوائف المرجئة في الطرف المقابل- وأعني المرجئة الخالصة-.

٣- وأهل السنة: وسط بين الطرفين.

وهذا الاختلاف مبني على اختلافهم في تعريف الإيمان وحقيقته عند كل طائفة منهم. ولهذا يحسن أولًا تعريف الإيمان.

(١) العقيدة الأصفهانية (ص ١٧٥)، الفتاوى (٣/ ١٨٢).
(٢) ينظر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٦).

(تعريف الإيمان)

١- **أولًا** : عند أهل السنة والخوارج والمعتزلة : اتفقوا جميعًا على أن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح .

ثم خالف الخوارج والمعتزلة أهل السنة بقولهم: إن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض: وهو العمل بكل مأمور، وترك كل محظور، ولا يزيد ولا ينقص، وإن الذنوب لا تجامع الإيمان بل تنافيه، فإذا ذهب بعضه بارتكاب شيء من المعاصي ذهب كله، فمن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ذهب إيمانه، وصار حلال الدم والمال ولكن بماذا يسمى؟

١- **قالت الخوارج**: يكون العاصي كافرًا في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لا يرث ولا يورث ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين .

وفي الآخرة: خالد مخلد في النار .

وقالت المعتزلة: إن مرتكب الكبيرة لا نسميه مؤمنًا ولا كافرًا ؛ بل في منزلة بين المنزلتين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧/ ٦): «**وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها، وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم**».

وعلى هذا قالوا في حكمه في الدنيا :

١- لا نسميه مؤمنًا ولا كافرًا وإنما في منزلة بينهما خرج من الإيمان ولم يدخل الكفر، ويسمونه فاسقًا[١].

٢- حكمه في الدنيا حكم المسلمين في حرمة الدم والمال والعرض

(١) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٧٠١- ٧٠٢).

والتوارث، ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين. فهذه معاملة مرتكب الكبيرة في الدنيا.

٣- وأما حكمه في الآخرة، فهو خالد مخلد في النار، وعذابه دون عذاب الكفار فيها.

وذلك بناء على أحد أصولهم الخمسة وهو وجوب إنفاذ الوعيد- أي: أن من ارتكب كبيرة فإنه يجب على الله ﷻ إدخاله النار، وإذا دخل النار فلا يخرج منها؛ لأنهم يردون أحاديث الشفاعة الثابتة عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما التي فيها التصريح بإخراج عصاة الموحدين من النار، بل فيها إخراج من كان في قلبه ذرة من إيمان[1].

٣- **المرجئة**: أهل التفريط: وهم طوائف: والأصل الذي يجمع المرجئة جميعا، والذي لأجله سموا بذلك: هو إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وهم ثلاثة أصناف، والذي يعنينا في هذا البحث هم المرجئة الخالصة الذين قالوا: «لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة»؛ لأنهم عرفوا الإيمان بأنه مجرد المعرفة بالقلب، وان لم ينطق به بلسانه، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان وارتكاب الكبائر لا يؤثر في إيمانه.

٤- **قول أهل السنة والجماعة**: وهو وسط بين إفراط الخوارج وأهل الاعتزال، وتفريط أهل الإرجاء، فأهل السنة والجماعة وإن اتفقوا مع الخوارج والمعتزلة في تعريف الإيمان بأنه اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، إلا أنهم يرون أنه يتبعض ويتجزأ، ويزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا هو الفرق بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة: أن الإيمان

---

(١) خ/ كتاب التوحيد/ فتح الباري (١٣/ ٣٧٤ح ٧٥١٠)، مسلم (ح ١٨٣).

يتفاضل ويتبعض كما قال النبي ﷺ: **«أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**[١]»[٢].

وهذا هو المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث.

فأهل السنة يقولون: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والذي مضى عليه سلف الأمة وأئمتها أن نفس الإيمان الذي في القلوب يتفاضل كما قال النبي ﷺ: **«أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**.

والزيادة قد وردت في عدة آيات من كتاب الله، قال تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [سورة الفتح: ٤].

وقال النبي ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق..»**[٣] وفي البخاري: **«والحياء شعبة من الإيمان»**[٤].

وعلى هذا فأهل السنة يقولون: إذا نقص شيء من واجبات الإيمان فقد ذهب الكمال والتمام، ولم يذهب الإيمان كله كما تقول الخوارج والمعتزلة.

فلا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر.

«فإن أئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، وقبلهم جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقول الخوارج، فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد ولا يقتل، والشارب يجلد، والقاذف يجلد، والسارق يقطع، ولو كانوا كفارًا لكانوا

(١) خ/ كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/ ٣٧٤ح ٧٥١٠)، ومسلم (ح ١٨٣).
(٢) الفتاوى (٣/ ٣٥٥- ٧/ ٥٠٥)، منهاج السنة (٥/ ٢٠٥- ٦/ ٣٣٧)، النبوات (ص ١٩٨).
(٣) مسلم (ح ٣٥).
(٤) خ (٢٤، ٦١١٨).

مرتدين ويجب قتلهم، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف»[١]

«فهذه النصوص صريحة بأن الزاني والشارب والسارق والقاذف ليسوا كفارًا مرتدين يستحقون القتل فمن جعلهم كفارًا فقد خالف نص القران والسنة المتواترة»[٢] وكفى بذلك ضلالًا.

* ولا يقولون بقول المرجئة بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، فإن هذه المعاصي وهي: الزنا، والسرقة، والقذف، وشرب الخمر قد عرضت مرتكبيها للعقاب في الدنيا بإقامة الحدود عليهم، والحدود مطهرات، والتطهير لا يكون إلا من ذنب وقد نص على ذلك حديث عبادة بن الصامت ﷺ الذي أخرجه البخاري في كتاب الإيمان قال ﷺ: «**بايعوني على ألّا تشركوا باللّه شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللّه فهو إلى اللّه إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**»[٣]. وهذا الحديث صريح في الرد على الطائفتين.

فالمعاصي تضر مرتكبها- إما بالعقوبة في الدنيا وإما في الآخرة- إذا شاء اللّه عقاب مرتكبها ومآله إلى الجنة كما في أحاديث الشفاعة المستفيضة، لا كما تقول المرجئة: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة! فهو قياس أو تمثيل فاسد؛ لأنه مصادم للنصوص.

ورد على الخوارج القائلين بكفر مرتكب الكبيرة، كما نص على ذلك كتاب اللّه في إقامة الحد على الزاني والسارق بالجلد والقطع وليس بالقتل، وإن لم يعاقب في الدنيا فهو تحت المشيئة، وهو ما نص عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن

(١) مجموع الفتاوى(٤/ ٣٠٧- ٦/ ٤٧٩)، منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٣٩).
(٢) منهاج السنة(٣/ ٣٩٦- ٥/ ٢٩٣).
(٣) خ/الإيمان (١/ ٦٤، ح١٨)

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وإنما يُسمِّي أهلُ السنة والجماعة مرتكب الكبيرة مؤمنًا عاصيًا، أو مؤمنًا فاسقًا، أو يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يسلبون الفاسق الملِّي الإيمان بالكلية كما تقول الخوارج، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة. ولا يقولون إنه كامل الإيمان كما تقول المرجئة؛ لأن الأخوة الإيمانية ثابتة لمرتكب الكبيرة بنص القرآن كما قال تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

فالله ﷻ وصف الطائفتين المقتتلتين: «**بالإيمان مع الاقتتال والبغي، وأخبر أنهم إخوة، وإن الأخوة لا تكون إلا بين المؤمنين، لا بين مؤمن وكافر**»(١).

وإذا كانت هذه النصوص من الكتاب والسنة صريحة في أن العاصي مرتكب الكبيرة ليس كافرًا، فلماذا تكفر الخوارج المؤمنين؟!، وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء به أحدهما**» ومثله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما(٢).

ويجيب على هذا التساؤل ما أورده الإمام البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ قال: وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

(١) منهاج السنة (٨/ ٥٢٩).
(٢) البخاري (ح٦١٠٣/ ٦١٠٤).

ثم أورد البخاري حديث علي بن أبي طالب ﷺ وفيه: قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**»(١).

وفي رواية أبي سعيد ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يخرج في هذه الأمة**- ولم يقل: منها- **قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم-أو حناجرهم- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية...**» الحديث.

وقد أورد الحافظ ابن حجر في فتح الباري أقوال العلماء في وصف الخوارج، ومتى يقاتلون، وحكمهم، وهل يحكم بخروجهم من الإسلام وكفرهم لقوله ﷺ: «**يمرقون من الإسلام أو من الدين مروق السهم من الرمية**» أولًا أورد ذلك في شرح أحاديث الباب السابع من أبواب كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم من فتح الباري (١٢/ ٣٠٣- ٣١٦).

قلت: وما ذكره الصحابي الجليل عبد اللّه بن عمر ﷺ من أن الخوارج انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين يوضحه ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان/ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، فقد أخرج بإسناده عن حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم- يعني محمد بن أبي أيوب قال: حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس: قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد اللّه يحدث القوم جالسًا إلى سارية، عن رسول اللّه ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال: فقلت له: يا صاحب رسول اللّه، ما هذا الذي تحدثون، واللّه يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾.

ويقول: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، فما هذا الذي تقولون، قال:

(١) البخاري/ كتاب استتابة المرتدين (١٢/ ٢٨٣ ح ٦٩٣٠).

فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه اللَّه فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج اللَّه به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومرَّ الناس عليه، قال: وأخاف ألَّا أكون أحفظ ذاك. قال: غير أنه زعم -فهي بمعنى قال- أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قُلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول اللَّه ﷺ؟ فرجعنا فلا واللَّه ما خرج منا غير رجل واحد[1] أو كما قال أبو نعيم، فما ورد في الحديث من استدلال يزيد الفقير بهذه الآيات على تخليد العصاة من الموحدين في النار هو ما قاله عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما من أن الخوارج انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين.

«قول يزيد الفقير: فقد شغفني رأي من رأي الخوارج..»:

يقول النووي: «إنهم يرون أصحاب الكبائر يخلدون في النار ولا يخرج منها من دخلها»[2].

وقد استدل يزيد الفقير على تخليد العصاة في النار بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

أقول: هاتان الآيتان المقصود فيهما من استحقوا الخلود فيها الذين هم أهلها من الكفار المكذبين للرسل المنكرين للبعث والحساب والعقاب بالنار والخلود فيها، وليسوا عصاة الموحدين الذين يخرجون من النار بالشفاعة إذا استحقوها وعاقبهم اللَّه بقدر ذنوبهم.

---

(١) مسلم مع النووي (ج٣/ ٥٠-٥٢) طبع دار الفكر ١٤٠١هـ (١٩٨١).
(٢) النووي شرح مسلم (٣/ ٥٠).

فقد أورد ابن جرير في تفسير آية آل عمران بإسناده عن الأشعث الحملي. قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، أرأيت ما تذكرون من الشفاعة حق هو؟قال: نعم حق. قلت: يا أبا سعيد، أرأيت قول اللَّه تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾.

قال: فقال لي: إنك واللَّه لا تستطيع على شيء، إن للنار أهلًا لا يخرجون منها كما قال الله. قال: قلت: يا أبا سعيد، فيمن دخلوا ثم خرجوا، قال: كانوا أصابوا ذنوبًا في الدنيا فأخذهم اللَّه بها، فأدخلهم بها، ثم أخرجهم بما يعلم في قلوبهم من الإيمان والتصديق به[1].

وأما آية السجدة فهي صريحة في أن أصحابها هم المكذبون بالبعث المنكرون للنار والفسق كما يطلق على المعاصي يطلق على الكفر، وان المعاصي قد تطلق على الكفر، وكذلك السيئات وسياق الآيات هو الذي يبين المراد من الآية، ولكن الخوارج في القديم ومن يسلك مسلكهم إلى يوم القيامة لا ينظرون لذلك، لأن الزيغ الذي في قلوبهم يدعوهم إلى الاحتجاج بالمتشابه.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره بعد ذكر الآيات من (١٨-٢٠) سورة السجدة ونصها: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة١٨-٢٠].

يقول: «يخبر اللَّه تعالى عن عدله أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنًا بآياته متبعًا لرسله بمن كان فاسقًا، أي: خارجًا عن طاعة ربه مكذبًا لرسله إليه كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

(١) ابن جرير (٤/ ٢١١).

ثم أورد الآيات الدالة على هذا المعنى إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ أي: خرجوا عن الطاعة ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، كقوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

قال الفضيل بن عياض: والله إن الأيدي لموثقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم، وقيل لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا»[1].

فالآية ختمت بالتصريح بأن هؤلاء كانوا في الدنيا يكذبون رسله وينكرون البعث ويكذبون به، فهذا عمل الكفار، وليس عمل العصاة من المؤمنين، ولهذا نجد أهل هذه العقيدة قديمًا وحديثًا يستدلون بالمتشابه ويتركون المحكم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ وقد أخبر الله تعالى بعدله، فقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ جزاء وفاقًا، أما الذي يبحث عن الحق فإن الله يوفقه ويسدده. فيزيد الفقير شغفه كما يقول رأي من رأي الخوارج - وهو القول بتخليد أصحاب الكبائر في النار - ظنًّا منه أن هذا هو الحق حيث لبسوا عليه هو ومن معه بذكر تلك الآيات التي فيها لفظ المعصية أو الفسق أو السيئة والتي يدل سياقها أن المقصود بها الكفار المكذبين بآيات الله الخارجين عن طاعته المكذبين لرسله، فجعلوها في المؤمنين كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وسبب ذلك ابتعادهم عن العلماء الذين يبينون لهم الحق في ذلك فالخوارج الذين وصفهم عبد الله بن عمر هم الذين خرجوا أولًا على الخليفة الراشد عثمان بن عفان فقتلوه في داره، ثم خرجوا على علي بن أبي طالب الخليفة الراشد؛ فكفروه وكفروا عثمان وكثيرًا من الصحابة، ثم قتله عبد الرحمن بن ملجم أحد القراء متقربًا بقتله حسب زعمه إلى الله، وذلك بتحريفهم لآيات لا يفهمون معناها، وإنما يتبعون أهواءهم، محرفين لكتاب الله إذ قال عنهم رسول الله ﷺ أنه مع حفظهم له وعباداتهم وأن

(١) ابن كثير (٦/ ٣٦٩-٣٧٠)

الصحابة -رضوان اللّه عليهم-: يحقرون قراءتهم مع قراءة أولئك وصلاتهم مع صلاتهم، ولكن قراءتهم لا تجاوز حناجرهم، أي: لا يفقهون فيه شيئًا.

وكان الواجب على أولئك أن يتفقهوا على الصحابة ويأخذوا العلم عنهم، لأنهم حضروا التنزيل وأخذوا عن الرسول ﷺ، ولكن بدل ذلك كفَّروهم وأخرجوهم من الإسلام حتى مَنْ شهد له الرسول ﷺ بالجنة عينًا كعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهما.

وقصة يزيد الفقير وجماعته أو عصابته كما وصفهم وهي في صحيح مسلم توضح للعاقل الناصح لنفسه ودينه وأمته أن الجلوس عند العلماء الربانيين وهم العلماء الحكماء الحلماء الفقهاء في الدين كما قال ابن عباس يعصم الباحث عن الحق من الزلل والشطط والغلو في الدين، الغلو الذي حذَّر رسول اللّه ﷺ الأمة منه بقوله ﷺ: «**إياكم والغلو...**» فيزيد الفقير والعصابة الذين معه- جلسوا عند جابر ابن عبد اللّه رضي الله عنه الذي أخذ العلم عن رسول الهدى ﷺ جلسة واحدة في المسجد النبوي، سمعوا منه قول رسول اللّه ﷺ في حكم مرتكب الكبيرة من عصاة الموحدين، وأن من دخل النار منهم بسبب ذنبه فإنه لا يخلد في النار بل يخرج منها ويدخل الجنة، فماذا كان موقفهم بعد ذلك؟! وقد انطبق على جابر رضي الله عنه عليه وصف ابن عباس للعلماء الربانيين يدل على ذلك، ذلك الاستفهام الذي فيه الرحمة والحلم مع يزيد الفقير حين قال يزيد الفقير في اعتراضه عليه بأسلوب الخوارج المتسم بالشدة. قال: ما هذا يا صاحب رسول الله. واللّه يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾. ويقول: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ فماذا قال جابر رضي الله عنه له؟ قال: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ- يعني الذي يبعثه فيه، قال: نعم. ثم أنشأ جابر يحدثهم عن المقام المحمود إلى ذكر خروج العصاة من الموحدين من النار. فماذا أَحْدَثَ هذا الأسلوب الحكيم وتقديم ذلك الدرس النبوي في نفس يزيد وجماعته الذين شغفهم رأي الخوارج؟

إن اللّه ﷻ أنقذهم بذلك الدرس من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور حيث قال يزيد: فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول اللّه ﷺ، قال: فرجعنا-أي: عن ذلك الرأي وهو تكفير المسلمين بالمعاصي والخروج على الحجاج فلا واللّه ما خرج منّا غير رجل واحد.

فهذه لمحة موجزة عما أحدثه الخوارج من شرخ في كيان الأمة الإسلامية، فهم شر فرقة كما قال عبد اللّه بن عمر رضي الله عنه، وهو رواية مسلم وقد جاء وصفهم في حديث أبي سعيد في رواية الطبري- كما في الفتح (١٢/ ٣٠٧)-: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**».

وفي رواية بلال بن قطر عن أبي بكرة: «**يأتيهم الشيطان من قبل دينهم**»، وإذا كان أولئك المؤسسون لهذا الفكر قد ذهبوا، إلا أن أفكارهم لا تزال منتشرة في العالم.

وقد جاء في صحيح البخاري في كتاب استتابة المرتدين. .إلخ الحديث ذو الرقم (٦٩٣٠): وسبق نصه وفيه قول علي رضي الله عنه: وإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم. . .** » الحديث. فإن فكر الخوارج المتمثل في تكفير المجتمعات الإسلامية ما زال منتشرًا وله دعاته والمخططون لنشره، ومعلوم أن هذه الأفكار تقدم بأسلوب مثير للشباب ولعامة الناس من جهة الدين الإسلامي وما يتعرض له الإسلام والمسلمون من أعداء الإسلام الذي لا ينكره أحد.

ولكن دعاة الفتنة يستغلون ذلك، ويوجهون طعونهم أولا وقبل كل شيء إلى علماء المسلمين، حتى يتمكنوا من فصل الشباب عن علمائهم والإصغاء إلى توجيهاتهم، وبيان أحكام الإسلام فيما يحتاج إلى بيان متبعين في ذلك الحديث عن الإسلام وما يتعرض له المسلمون من ظلم وتعاليم الدين وما شرعه اللّه لإعزازه من ضياع، ومن ذلك الجهاد في سبيل اللّه وإعلاء راية الإسلام وقد قال أبو بكرة في

روايته لحديث علي ﷺ في وصف الخوارج كما أوردها ابن حجر في شرح الحديث قال: «**يأتيهم الشيطان من قبل دينهم**».

إن ما يصدر من أعداء الإسلام ضد الإسلام من طعون سواء من غير المسلمين، أو ممن ينتسبون للإسلام من علمانيين ومستغربين المعروفين بتنصلهم من تعاليم هذا الدين الحنيف وإن كان ضرره واضحًا على الإسلام والمسلمين فعداوتهم لتعاليم هذا الدين واضحة وعداوتهم سافرة. إلا أن الضرر على شباب الإسلام ممن يحملون أقلامًا وأساليب لها آثارها في انحراف الشباب عن الصراط المستقيم باسم الإسلام والدعوة إليه، والتباكي على ضياع تعاليمه وتوجيه اللوم إلى العلماء بأنهم قصروا بل وتمالئوا مع الظلمة حسب تعبيرهم على ذلك.

إن هذه الأفكار المنحرفة التي تلقى على الشباب هي التي ولَّدت هذه الأحكام التي أصدروها على المجتمعات الإسلامية فحكموا بكفرها وارتدادها عن الإسلام غير آبهين بالقواعد الشرعية المبنية على أدلة الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لها ومنها: «من ثبت إسلامه بيقين لا يجوز إخراجه منه إلا بيقين وذلك بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة».

ولكن هؤلاء الدعاة لا يعرفون هذه القواعد الشرعية لأنهم لم يتعلموها ولم يجلسوا إلى العلماء الربانيين ليأخذوا عنهم العلم، ولهذا حرصوا على إبعاد الشباب عن العلماء حتى لا يسمعوا منهم خلاف ما يملونه عليهم، فيتفرقوا عنهم حين يسمعون الأدلة المخالفة لآرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم وما يدعون إليه، ولهذا حصنوهم من سماع أهل العلم- حتى أصبحوا كما وصف اللّه قوم نوح في كيدهم وعنادهم وانصرافهم عن سماع ما يوجهه لهم من دعوة إلى الخير والرجوع إلى الله، حيث يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم ويصرون على باطلهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]. وهذا ينطبق تمامًا على أبنائنا في هذه البلاد الذين وقعوا

في حبائل هؤلاء، فإن الدعوة والإرشاد والتوجيه في جميع وسائل الإعلام من العلماء والدعاة والخطباء في المحاضرات والندوات والملتقيات العلمية يسمعونها، ويشاهدونها، ويقرءونها- ولكنها لا تتجاوز حناجرهم كما جاء في الحديث؛ لأن الدعاة إلى الباطل تمكنوا من قلوب هؤلاء الشباب وعقولهم حتى أصبحوا لا يرون ولا يسمعون إلا ما يقوله شيوخهم الذين حرفوا النصوص من الكتاب والسنة عما دلت عليه، ولو علم هؤلاء الشباب أن العلم الشرعي لا يؤخذ إلا عن العلماء الربانيين وهم الفقهاء العلماء الحكماء الحلماء كما وصفهم ابن عباس رضي الله عنهما، العالمين بكتاب اللّه وسنة رسوله، وفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله في وصف السلف الصالح وبيان سداد رأيهم فقال: «هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا»[1]، فهذا قول الإمام الشافعي رحمه الله العالم المجتهد يقول هذا القول عن نفسه، فأين هؤلاء الذين يدّعون فهم نصوص الكتاب والسنة دون الرجوع إلى فهم السلف الصالح لها؛ بل يقولون جهلًا نحن رجال وهم رجال.

إن هؤلاء المتطفلين على العلم الشرعي من أدباء، وأطباء... هم الذين جروا هؤلاء الشباب السليمي الفطرة الصغار السن والكبار منهم، القليلي العلم الشرعي، ثم دفعهم لهم بالعواطف الدينية، إلى تكفير المسلمين المعصومين بشهادتهم للّه بالوحدانية ولرسوله بالرسالة مع إقامة شعائر دينهم- دون ذنب مخرج لهم من دينهم- ودون تعقل من هؤلاء لما يترتب على ذلك من أضرار على الإسلام والمسلمين لا يدركها إلا العقلاء العلماء الذين يعرفون المصالح والمفاسد التي هي من قواعد الشريعة الإسلامية.

وأكتفي بالتمثيل إلى ما أشرت إليه، وهو أن ما كتبه بعض الدعاة الأدباء الذين ينقصهم الفقه في الدين وعلم السنة النبوية التي تعصم من الزلل لأنها تبين آيات الكتاب

(١) انظر مجموع الفتاوى(٤/ ٥٨).

الكريم والتي انطلق منها الخوارج-كما قال ابن عمر- فأنزلوا الآيات الواردة في الكفار على المؤمنين، فهذا الكاتب فسر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. بأسلوبه الأدبي الذي يأخذ بعواطف الشباب، ولاسيما الصغار السن والعلم الذين لا يستطيعون التمييز بين الصواب والخطأ، ومن قرأ هذا المقطع في هذا الكتاب قد تزل به القدم إلى تكفير عموم المسلمين.

وإليك مقطعًا من هذا النص من الطبعة الشرعية الثالثة والعشرين عام١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م دار الشروق المجلد الثاني (ص١٠٥٧) لمن أراد قراءة كامل النص: «**لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: (لا إله إلا الله) دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعي هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية «الحاكمية» التي يدعيها العباد لأنفسهم- وهي مرادف الألوهية- سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب، فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية.. إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية. ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء..**

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات: (لا إله إلا الله) بلا مدلول ولا واقع..، هؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد- من بعد ما تبين لهم الهدى- ومن بعد أن كانوا في دين الله!

فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلًا أمام هذه الآيات البينات! ما أحوجها أن تقف أمام آية الولاء».

قلت: ومما جاء في اعترافات أحد المضلَّلين التسعة والعشرين من الذين وقعوا في شباك أهل التكفير قول العضو (رقم ٧) كما في جريدة عكاظ، الثلاثاء٢١/ ذو

القعدة عام١٤٢٤هـ العدد١٣٦٥٣- أنه قرأ في هذا التفسير.

ولكنه مع حكمه على البشرية كلها بالردة حتى المؤذنين الذين يجددون إسلامهم كل يوم خمس مرات؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول الله...**» الحديث.

إلا أنه يقول -عفا اللّه عنه-: «فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلًا أمام هذه الآيات البينات!!» وهذا ما قاله عبد اللّه بن عمر رضي الله عنه: إن الخوارج انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين. وقد سبق التمثيل لذلك.

فهو الآن يحتج بهذه الآيات البينات على كفر البشرية كلها بما فيها المؤذنون، ويستثني العصبة الذين يقولون برأيه فهم المسلمون وحدهم، فما الفرق بين قوله هذا وقول الخوارج لعلي رضي الله عنه: (لا حكم إلا لله)؟! حتى دعاهم ذاك الغلو والجهل بسبب ابتعادهم عن أهل العلم إلى تكفير الصحابة؛ بل تكفير من شهد له رسول اللّه ﷺ بالجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون.

فالذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بجهلهم مع سوء قصد الكثير منهم هم الذين قتلوا الخليفة الراشد عثمان بن عفان بتحريض عبد اللّه بن سبأ اليهودي الماكر. ودليل ذلك ما ذكره الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، قال: قالوا له: «**إن لم تعد الأشتر وإلا صنعنا بك ما صنعنا بعثمان**»[1]- والأشتر هو قائد جيش علي رضي الله عنه، وذلك في قصة التحكيم وكان رأي علي مضي الجيش إلى حسم القضية، وبعد أن ألحوا عليه في التحكيم رجعوا عليه وقالوا: حكَّم الرجال في كتاب الله، لا حكم إلا الله. ثم ختموا ذلك بقتله رضي الله عنه، قتله عبد الرحمن بن ملجم -أحد القراء الذين أضلهم اللّه- متقربًا بقتله إلى الله!!

ولنقرأ قول الخارجي المظهر للتنسك والعبادة عمران بن حطان الشاعر

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٠٦) الطبعة الثانية سنة١٤١٣هـ دار الكتب العلمية بيروت.

الخارجي وهو يرثي قاتل علي حين قتل :

يا ضربة من منيب ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانَا
إني لأذكره يومًا فأحسبه أوفى البرية عند اللَّه ميزانَا

هكذا يقول في قاتل علي الخليفة الراشد المشهود له بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى، وسمَّى الخوارج هذا العمل جهادًا في سبيل اللَّه وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر . وهو من أعظم الفساد .

وهكذا يأتي في زماننا هذا إحياء هذا الفكر وقتل المسلمين الآمنين في ديارهم . مع المستأمنين، وحتى إدخال المتفجرات إلى الحرم المكي الذي حرم اللَّه ورسوله تنفير صيده وقطع شجره ويسمون هذا جهادًا ؛ لأنهم اعتقدوا كفر البشرية كلها بما في ذلك المؤذنون- كما سبق ذاك المقطع من تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ وقول هذا الكاتب-بسبب أنه لم يَعُدْ إلى السنة النبوية المفسرة والموضحة لكتاب اللَّه التي تعصم من الزلل- والرسول ﷺ قد أخبر وقوله الحق حيث قال : «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب اللَّه وسنتي**»، فبين ﷺ أن العصمة من الضلال مرتبطة بالتمسك بالكتاب والسنة يوضح ذلك هذه المقارنة المختصرة :

إن قول هذا القائل وهو إطلاق الحكم على البشرية كلها بالردة سببه أنه :

* واجه ظلمًا وشدة وتعذيبًا من الحاكم الذي يعيش هو في بلده .

* وهذا الموقف قد واجهه الإمام أحمد بن حنبل ومن معه من العلماء في عهد المأمون والمعتصم في محنة القول بخلق القرآن، فقُتل من قتل وسُجن من سُجن، والإمام أحمد سُجن وضرب ضربًا شديدًا، ولكنه لم يكفر حتى المأمون والمعتصم الذي باشر ضربه والتنكيل به فضلًا عن الأمة كلها، فما الذي عصمه من ذلك إنه عُصم بالسنة وذلك بقول رسول اللَّه ﷺ :

١- الأول : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . كما قال ﷺ فلم يطع المأمون ولا المعتصم في تلك المعصية .

٢- الثاني: لم يأمر بالخروج عليهما؛ لأن الرسول ﷺ حرم الخروج على الأئمة وإن جاروا إلا أن يرتكبوا كفرًا بواحًا فيه من اللَّه برهان، مع مراعاة المصالح والمفاسد المترتبة على الخروج حتى مع وجود الكفر البواح، كما هو مفصل في كتب السنة وأقوال علماء سلف هذه الأمة.

أما النموذج الثاني فهو ناتج عن الفكر السابق وهو كتاب: «كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ دراسات حول الجماعة والجماعات». الطبعة الثانية سنة١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الناشر: مكتبة التابعين بالقاهرة.

قال المؤلف (في ص١٠١): «**فصل: ليس للمسلمين اليوم جماعة ولا إمام**»

ثم قال: قبل أن نتحدث عن صورة الجماعة في إطارها الحسي في واقعنا المعاصر، فلا بد أن نقرر أولًا أن المسلمين اليوم بلا جماعة أو إمام.

قال: فالحق أن من يستقرئ واقع المسلمين يستطيع أن يتبين أن المسلمين اليوم جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها ليس لهم جماعة حسب المعنى الأول للجماعة: وهو المعنى الحسي أو ما يسميه البعض بالمعنى السياسي، بمعنى أنهم ليسوا مجتمعين على طاعة إمام واحد، وبالتالي فإنهم ليس لهم إمام أو خليفة وذلك أن كلا الأمرين ملازم للآخر، بحيث إذا وجد الإمام وجدت الجماعة، وإذا وجدت الجماعة وجد الإمام فهما متلازمان لا يوجد أحدهما دون الآخر... إلى أن قال: فالمسلمون الآن جميعًا بلا جماعة ولا إمام.

ثم قال: وقد يعترض البعض على هذا بوجود دولة مثل أفغانستان إذ إن لها حكومة إسلامية، وراية إسلامية قائمة على الجهاد في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا اللَّه محمد رسول الله) ومواجهة قوى الكفر والطغيان المحادين للَّه تعالى.

ثم رد على هذا الاعتراض وبين أن سببه تقصير حدث من الدولة الأفغانية ومن رئيسها، وهو عدم إعلانها أن دولتهما دولة الخلافة، ولم يعلن رئيسها أنه خليفة المسلمين.

ولهذا قال في (ص١٠٢): «ولكن الحق أن دولة أفغانستان، وإن كانت دولة مسلمة كانت نتاج جهاد إسلامي رائع أعاد لنا سيرة الصحابة والتابعين الذين جاهدوا لرفع راية هذا الدين، إلا أن دولة أفغانستان لم تعلن أنها دولة الخلافة، ولم يعلن رئيسها أنه خليفة المسلمين... إلى أن قال: ولو حدث هذا-أي: إن دعا -أي: رئيسها- إلى نفسه وتمت له بيعة أهل الحل والعقد-لأمكننا أن نقول إن المسلمين قد صارت لهم دار خلافة وصار لهم جماعة وإمام يجب أن يرجعوا إليه، ويأتمروا بأمره وينتهوا بنهيه وتكون الهجرة إليه واجبة ولا يجوز البقاء في دار من ديار الكفر إلا بتكليف منه أو لحاجة أو ضرورة لا على نية الإقامة... إلخ (ص١٠٢).

وأقول: إن هؤلاء الدعاة لنصرة الإسلام -حسب زعمهم- هم الذين يعطون لهؤلاء الشباب هذا التصور الذي يدفعهم إلى تكفير الدول المسلمة.

فهو يقرر أنه لا يوجد دار للإسلام والمسلمين-ولهذا قال: لو أن دولة أفغانستان أعلنت أنها دولة الخلافة، وأعلن رئيسها أنه خليفة المسلمين، لوجب أن تكون الهجرة إليه واجبة ولا يجوز البقاء في ديار الكفر، إلا بتكليف من الإمام، أو لحاجة أو ضرورة لا على نية الإقامة.. إلخ.

وقد سمعنا ممن قيل له في ذلك الوقت: ما دمت ترى الجهاد فرض عين، فلماذا لم تذهب أنت وتجاهد حتى إما النصر أو الشهادة- فقال: إنه مأذون له من إمامه، ولكن ما عرفنا إمامه في ذلك الوقت، وهذا تفسيره الآن من صاحب هذا الكتاب.

ولكن نريد أن نسأل هذا الكاتب الذي طبع كتابه الطبعة الثانية عام١٤١٦هـ أي قبل عشر سنوات.

هل أعاد النظر في تلك الخلافة أو الدولة الإسلامية في أفغانستان، وهل الهجرة إليها تجب الآن؟

ألا يجب على هؤلاء الكتاب أن يتقوا الله في الشباب، وأن يعودوا هم للعلماء أهل الفقه في الدين وليتفقهوا في الدين أولًا كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن

كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فالإنذار والتعليم والتوجيه بعد التَّعلُّم. والرسول ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» كما في صحيح البخاري. والكاتب يرى أن الأمة وصلت إلى ما ينطبق عليه وصف حديث حذيفة الذي ورد فيه ذكر الفتن حتى لا يوجد جماعة ولا إمام وعندها يعض الإنسان على جذع شجرة حتى يأتيه الموت.

ولهذا قال في بداية هذا الفصل: أنه قرر في بداية بحثه أن المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها لا يوجد لهم جماعة ولا إمام- كما قال الكاتب السابق-: أن البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها قد ارتدت عن لا إله إلا الله- بما في ذلك الذين يرددون على المآذن: لا إله إلا الله.

وأقول: أليس ما يحدث اليوم من شباب المسلمين في ديار المسلمين بما فيها هذه البلاد أليس هو نتاج هذا الفكر، وهو تكفير المجتمعات كلها؟! وأنه لم يبق مسلم إلا أولئك الذين يعتنقون هذا الفكر فهم المسلمون وحدهم وما عداهم مرتدون عن الإسلام، وهذا ما دل عليه صريح كلام الكاتب الذي يقول: «وما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلا أمام هذه الآيات البينات».

ومن الأمور المؤثرة في أذهان الشباب نحو علمائهم ما يحدث من بعض الدعاة وهو قولهم: أن العلماء لم ينزلوا في الساحة مع الشباب لحل مشاكلهم وتوجيههم الوجهة الصالحة، أو أن العلماء في أبراج عاجية، أو أنهم أصحاب الحواشي، أمَّا ما يهم المسلمين فلا يدركونه.

والحقيقة أن هذا القول مخالف للواقع إن هؤلاء الشباب هم في قاعات الدراسة من المراحل الأولى في حياتهم العلمية إلى الجامعات التي يتخرجون فيها فالمدرسون معهم في هذه المراحل في قاعات الدروس وفي المحاضرات العامة وفي الندوات، وكذلك خطباء المساجد وأهل الحسبة، كلهم يوجهون الشباب وإن كانوا يقصدون بالعلماء -كبار العلماء- فمحاضراتهم وتوجيهاتهم والبرامج اليومية

الدينية هم الذين يعدونها- والمشاهد للتلفزيون والمستمع للإذاعة قد يشفق على سماحة مفتي المملكة الذي بحّ صوته في خطبه وتوجيهاته وإجاباته على ما يوجه إليه في مشاكل الشباب وغيرها من الأمور التي تهم المسلمين.

وإني آمل من الإخوة الكرام أن يبتعدوا عن هذا الأسلوب الذي يزرع في قلوب الشباب واعتقادهم أن العلماء مقصرون في توجيه الناس وإرشادهم. إن هؤلاء الشباب الذين يحملون هذا الفكر المنحرف بل الخطير نحو أمتهم لا يفيد فيه -بعد توفيق الله- إلا الدعاة الذين ألهبوا عواطف أبنائهم وإخوانهم إلى الجهاد في سبيل اللَّه من غير نظر إلى أحكام الجهاد في سبيل اللَّه وإلى الراية التي يجب أن يجاهد تحتها المجاهد، وإلى الإذن للمجاهد ممن يملك الإذن حسب القواعد الشرعية.

فعلى هؤلاء إن كانوا اقتنعوا بأن ذلك المنهج كان خطأ فيجب عليهم تصحيحه وإقناع الشباب بالعدول عما انزلقوا إليه، لأنهم لم يوجهوهم لتكفير المسلمين وإنما وجهوهم لجهاد الملحدين، ومعلوم أن دعاتنا وكتابنا وأدباءنا صوروا لشبابنا أن الجهاد في أفغانستان والكرامات التي حدثت للمجاهدين هناك لم يحدث مثلها للصحابة -رضوان اللَّه عليهم- مع أنهم -أي: الدعاة- لم يباشروا ذلك بأنفسهم لأنهم لم يشاركوا في تلك المعارك وإنما يكتفون بدفع الشباب فقط، وكم ضاع وهذا ما فسره صاحب هذا الكتاب: كيف الأمر إذا لم يكن جماعة ولا إمام- فقد قال: إن دولة أفغانستان دولة إسلامية، ولو أنها أعلنت ذلك، لوجب الهجرة إليها ولا يجوز لأحد البقاء في ديار الكفر إلا بإذن منه أو لمصلحة يقتضيها البقاء.

وقد قال حمد الربعي في مقال له: بل إن هؤلاء الدعاة يرسلون أبناء الفقراء ويحثونهم على الجهاد، وأما أبناؤهم فيدرسون في أرقى الجامعات وهذه الأفعال مخالفة للأقوال، وبهذه المناسبة أحب أن أورد مقطعًا مما كتبته في برنامج (الوصايا في الكتاب والسنة) الذي أذيع في (إذاعة القرآن). وطبعت تلك الوصايا عام١٤١٣هـ. أشير إلى مقطع من الوصية السادسة والخمسين- تحت عنوان:

الوصية بالتمسك بالسنة والابتعاد عن البدعة، ونصه: «إن ابتعاد شبابنا عن علمائهم، وعدم التفقه عليهم، والسماع لتوجيههم ونصائحهم لما لديهم من علوم الشريعة والفقه في كتاب اللَّه وسنة رسوله ومعرفتهم لواقع الأمة حسب تجاربهم وخبراتهم- يخشى على هؤلاء الشباب أن ينزلقوا أو تزل بهم أقدامهم إلى ما لا يفيدهم في دنياهم وأخراهم، لاسيما وهم أحداث ليس عندهم من العلم إلا القليل، وإنك لتعجب حين تسمع منهم أسئلة تنم عن حطٍّ من شأن العلماء وذلك بوصفهم بعدم إدراك الأمور وما يحيط بالأمة من أخطار وهي خطط موجهة لفصل الشباب الأحداث عن السماع من العلماء بوسائل متعددة، ولها خطرها على هؤلاء الأحداث في مستقبل حياتهم العلمية والفكرية، فعلى علماء الأمة أن يوجهوا أبناءهم إلى طلب العلم والتفقه على العلماء، ويبينوا لهم أخطار هذه الوساوس والإيحاءات التي علقت بأذهانهم بأنها ضرر عليهم، وعلى الدعوة والتوجيه وإرشاد الأمة إلى ما فيه صلاح دينها ودنياها -نسأل اللَّه لهم الهداية والتوفيق-.

نسأل اللَّه تعالى أن يرد شبابنا إلى جادة الطريق وأن يهديهم الصراط المستقيم وأن يُهَيِّئَ لهم من أمرهم رشدًا لينفعوا دينهم ومجتمعهم وأنفسهم. وهو ولي ذلك والقادر عليه والحمد للَّه رب العالمين.

* * *

فهرس الموضوعات

المقدمة ٤
سبب خيرية هذه الأمة بعد الإيمان بالله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧
ظهور الفرق وما نشأ عنه من التفرق ٩
أ- تعريف السلف: ١١
ب - مجمل اعتقاد السلف، وهم أهل السنة والجماعة: ١٥
الركن الأول: وهو : الإيمان بالله ﷻ: ١٥
توحيد الربوبية: ١٦
الثاني: توحيد الإلوهية: ١٦
تعريف العبادة عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٦
الثالث: توحيد الأسماء والصفات: ١٧
منهج أهل التعطيل ١٩
وسطية أهل السنة في الأسماء والأحكام ٢٢
تعريف الإيمان ٢٣
قول يزيد الفقير: فقد شغفني رأي من رأي الخوارج..» ٢٩
فهرس الموضوعات ٤٤

* * *

الوسطية ونبذ الغلو

desinged by : H.Mokhtar